معالم منهاج تدريس السيرة النبوية بالجامعات

د. رشيد كهوس

كلية أصول الدين بتطوان/ جامعة القرويين/ المغرب

رئيس مجموعة البحث في السنن الإلهية في القرآن والسنة والتاريخ

Features of the Curricula of the Prophetic Biography in the Universities

Dr. Rachid Kohouss

College of Religion Fundamentals in Betwan / University of Al-Qarawiyeen / Morocco

Head of the researchers of the Divine Legislations in the Holy Quran, Prophetic Sunnah and History

rachid1433@yahoo.com

Abstract

The Holy Prophetic Sunnah is considered a glorious embodiment of the Islamic values and virtues, an important source for the Islamic thought, an essential factory for shaping the morals of the society, a real explanation of the Holy Quran, a typical sample of the Islamic life, and a great example to be followed to liberate man from the slavery of other than God.

المقدمة:

تعتبر السيرة النبوية العطرة تجسيدا حيا لقيم الإسلام والفضيلة، ومصدرا مهما للفكر الإسلامي، وعاملا رئيسا في صياغة أخلاق المجتمع وقيمه وتصوراته، وتفسيرا تطبيقيا للقرآن الكريم، وأنموذجا بارزا للحياة الإسلامية، ومثلا يحتذى في تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، ومعينا لا ينضب ومنبع خير لا ينقطع أبدا، ومفتاح فهم الشريعة الإسلامية عقيدة وسياسة وتربية وجهاد ودعوة ودولة وأمة وفكرا وثقافة... وهي الأنموذج التاريخي الأمثل الذي لم يتطرق إليه عبث أو تزوير أو تحريف.

والسيرة النبوية ليست مجرد أحداث غابرة أو وقائع مضت، وإنما هي تسجيل دقيق لحياة رسول الله ﷺ الذي اصطفاه الله من بريته وجعله حجة على الناس جميعا إلى يوم القيامة، فضلا عما تزخر به من تطبيقات حية وأمثلة واقعية لقضايا تتعلق برعاية مقاصد الشريعة ومطالبها والحكم التشريعية.

وإنما أهم ما ميز السيرة النبوية أنها تحكمها مقاييس غير بشرية، فالوحي مصدرها، والله الذي يوحي بها، وسلوك الأنبياء لا يخضع لمنطق الوحي فحسب، وإنما يخضع لمنطق الوحي الإلهي السماوي.

ولا ينكر أحد ما حظيت به السيرة النبوية من التوثيق الأدائي والكتابي، في أقصى درجة من التوثيق والضبط، ويعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية من أهم مصادر السيرة العطرة، فضلا عما جاء في الكتب التي تفردت بالتأليف فيها، أو ضمتها بين ثناياها.

وإن الأمة في أمس الحاجة في كل فترة من فترات التاريخ إلى إعادة قراءة السيرة النبوية ودراستها والاهتمام بها لتصحح مسارها وسلوكها وتسير على منهاج مستقيم، حتى تجسد قيم الإسلام بصدق.

كما أن من حقوق رسول الله محمد ﷺ على أمته تدريس سيرته العطرة وأيامه الخالدة لما لها من أهمية في نشر الخير والفضيلة، والهدى والإصلاح.

ولقد أدرك علماء الأمة ومعلموها وباحثوها هذا الحق النبوي عليهم فبذلوا جهودهم وأوقاتهم وأموالهم للتوقف عند سيرة رسول الله ﷺ العطرة فاستخرجوا منها الجواهر واللآلئ والدرر، وعلموها لطلاب العلم وللأمة المحمدية؛ لأنها مصدر العزة والكرامة، وينبوع الرحمة والفضيلة، وطريق النجاح في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة ...

وقد يحتاج الدارسون والمربون للإيفاء بهذا الحق إلى معالم تبصرهم في أثناء تناولهم للسيرة علما وتعليما كي يزداد إنجازهم في دراستها ويعمق فهمهم بدرايتها ،فتكون المشاركة الفعالة من جانب العالم والمتعلم ويكون الأثر المراد من ذاك النبع الأصيل..

وهذا ما سأتوقف عنده في البحث، مبينا المنهاج المفيد والناجح لتدريس السيرة النبوية العطرة حق النبي محمد ﷺ على أمته. ومقسما البحث إلى مبحثين رئيسين مترابطين:

أولهما: أتناول فيه أهداف تدريس السيرة النبوية الشريفة، إذ تحديد الأهداف يساعد على تحديد المنهاج.

وثانيهما: منهاج تدريس السيرة النبوية العطرة، وفي هذا المبحث أركز على المنهاج الناجح والمفيد –حسب رأيي وما توصلت إليه– الذي يحقق الأهداف المسطرة في المبحث الأول.

المبحث الأول:

أهداف تدريس السيرة النبوية

يحتاج تحديد أهداف تدريس السيرة النبوية إلى عناية فائقة، حتى يستفيد المتعلمون من السيرة النبوية علما وعملا، تأسيا واقتداء، اتعاظا واعتبارا، لذلك يخطئ الكثير من المدرسين حين يعتبرون أن الهدف الأساس من تدريس السيرة النبوية هو ذكر أحداث السيرة من الميلاد إلى الوفاة، في حين يغيب الهدف الأساس الذي يعطي ثماره بإذن ربه وتكون له آثاره في إبراز القيم الأصيلة، والأخلاق الحميدة، والمبادئ السامية، والسنن الإلهية، والمثل العليا التي تمثل جوهر السيرة النبوية.

فما كان للسيرة العطرة المنهاج التربوي الكامل الغني بأساليب البناء المتين والتنشئة الصحيحة الصالحة أن تختزل في سرد المعلومات وينتهي الأمر بنتيجة جمع معلومات متناثرة لا يربطها مفهوم أو تجمع بينها مبادئ مشتركة.

ولا يتحقق المنهاج الصحيح في تدريس السيرة إلا إن أولينا جل اهتمامنا لتحديد أهداف تدريسها ضمن مفهوم القدوة الحسنة وانطلاقا من قوله جل وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: 21].

وقد حقق الجيل القرآني الخالد نجاحا باهرا في كل جوانب الحياة ومناحيها لما صَدَقَ وأخلص في التَّأَسِّي والمتابعة ومحبة رسول الله ﷺ؛ فتمكَّن من التَّطبيق العملي للقرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة.

وإذا أردنا استئناف الحياة الإسلاميَّة الصَّحيحة من جديد فلابد من التلبس بالسِّيرة النَّبويَّة وتمثلها في الواقع المعاش على مختلف المستويات (السياسية، والاقتصادية، والتربوية، والتعليمة، والثقافية، والإعلامية، والاجتماعية..)، وفي كل المواقع والنَّواحي، وأن تكون دراستُنا للسِّيرة النَّبويَّة بهذه المعاني العميقة والنَّظرة الشَّاملة الواعية النافعة ؛ حتى نصنعَ جيلَ الغد، ودعائم النَّصر، وقواعد التَّمكين للأمَّة المسلمة.

إذن فالهدف الأساس والعام لتدريس السيرة النبوية يتمثل في الاقتداء والتأسي بسيدنا رسول الله ﷺ في كل مرحلة من المراحل الجامعية، وأن يصبح هذا الهدف دعامة رئيسة وعنصرا أساسيا في بناء شخصية الطلاب وتنمية قدراتهم وملكاتهم.

يتخذ الطلاب الحبيب المصطفى ﷺ أسوة وقدوة في حياتهم، ومثلهم الأعلى في كل شيء، وكيف لا يكون كذلك وقد "وضع في شخصه ﷺ الصورة الكاملة للمنهاج الإسلامي، والصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ.. رجل سياسة يشيد أمة من الفتات المتناثرة، فإذا هي بناء ضخم لا يطاوله شيء في التاريخ ويمنح هذا البناء من وقته وفكره وجهده ما يشغل وجود حياة كاملة، ورجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش ويحارب وينتصر كقائد متخصص كل همه القتال، متفرغا له.. وأب وزوج ورب أسرة كبيرة.. وصديق وقريب وصاحب للناس تشغله همومهم وتملأ نفسه مشاعرهم، ويوقدهم ويزورهم ويمنحهم من مودته وعطفه ما يشغل رجلا إنساني القلب، يهب حياته كلها لشئون الناس.. وعابد متحنث لربه مرجل منقطع للعبادة، متخصص لأدائها لا تصله بالأرض رابطة ولا يشغله هم من الهموم ولا تجيش في نفسه نوازع ولا تتحرك في نفسه رغبات"[(1)].

(1) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط16، دار الشروق. 183/1.

وعندما نعتبر التأسي والاقتداء الهدف الأساس والعام لتدريس السيرة العطرة في مختلف الفصول الجامعية يجب أن يتسع هذا الهدف ويتعمق في كل فصل من الفصول المذكورة.

ولذلك قال بعض الباحثين: "إن الله جل جلاله، إنما أنزل القرآن على بشر مثلنا وفق تعاليمه وليتسنى بذلك للناس اتباعه، وقد انتبه عدد من علماء المسلمين اللامعين فمزجوا بين دراسة السيرة واستنباط الحكم والأحكام فيها، فأخرج لنا ابن القيم رحمه الله كتاب ((زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ)) وأخرج محمد الغزالي من الكتاب المعاصرين ((كتاب فقه السيرة))"[1]

وبعد الهدف العام ننتقل إلى الأهداف التفصيلية لتدريس السيرة العطرة، ومنها ما يأتي:

-الاقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ في قوة الإيمان والثبات على الحق؛ وذلك بترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة والإيمان بكل أركانه ومبادئه في نفوس الطلاب، والابتلاءات التي تعرض لها سيد الخلق ﷺ وأتباعه في تثبيت هذه العقيدة في المجتمع ونشرها في الأرض، حتى يدركوا أن تغيير المجتمع المعاصر لابد له أن يقوم على أساس الإيمان والعقيدة الصحيحة.

-الاقتداء بمولانا رسول الله ﷺ في الصدق والأمانة؛ هنا يدرك الطلاب أهم الصفات التي عرف بها رسول الله ﷺ منذ نعومة أظفاره حتى لقبته قريش بـ(الصادق الأمين)، وأن المؤمن الناجح هو من اتصف بهاتين الصفتين (الصدق والأمانة)، حتى تكون هذه أخلاقهم في الجامعة والمجتمع والبيت.

-الاقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ في ثباته على الحق؛ هنا يدرك الطلاب أن دعوة الإسلام هي دعوة الحق، وأن الحق لا يتنازل عنه مهما كانت الظروف والأحوال، وأن أصحاب النبي ﷺ رغم ما تعرضوا له من الأذى والابتلاء لم يثنهم ذلك عن اتباع الحق. هنا ننمي حب الحق والثبات عليه في نفوسهم ونشجعهم على ذلك، ثم ننمي قدراتهم وملكتهم في تحليل بعض مشكلات الأمة في الوقت الحاضر التي كانت نتيجة التخلي عن الحق وعدم الثبات عليه، وأن الأمة لن ترجع لها كرامتها وسيادتها إلى بالحق والثبات عليه لكونه أحد العوامل الحيوية التي أسهمت في استقرار المجتمع الإسلامي الأول.

-الاقتداء بحبيبنا رسول الله ﷺ في المحبة؛ هنا يدرك الطلاب أهمية محبة رسول الله ﷺ والتأسي به ﷺ في حبه لربه عز وجل، وحبه لأسرته، وحبه لأصحابه ﷺ، والتأسي بأصحابه في حبهم لرسول الله ﷺ، وأن هذا الحب هو السبب الرئيس فيما حازوه من فضائل في الدنيا والآخرة، وفيما حققوه من فتوحات للبلدان والقلوب. ثم تنمية قدرات المتعلمين في استنباط نماذج من محبة النبي ﷺ لأصحابه وأزواجه ونماذج من محبة أمهات المؤمنين والصحابة للنبي ﷺ.

-التأسي برسول الله ﷺ في شجاعته وحلمه ورحمته، فيحتاج الطالب إلى الشجاعة في الحق وفي ساحة الوغى، وفي دحض الباطل وإزالة الظلم.

ويحتاج الطالب إلى الحلم على الصغير والعفو عند المقدرة، والرحمة بالكبير وبخلق الله جميعا.

-الاقتداء برسول الله ﷺ في نبذ الرذيلة والموبقات منذ كان طفلا، لما يترتب عليها من أضرار ومفاسد على الفرد والمجتمع.

-الاقتداء برسول الله ﷺ في تؤدته وصبره وتحمله الأذى في الله ولله، إذ الصبر مفتاح النصر والفرج، وطريق الخير محفوفة بالشدائد والمشقات. وإدراك مقدار الجهد الكبير والعطاء العظيم والسعي الدؤوب الذي بذله رسول الله ﷺ لأمته بغية تعليمهم وهدايتهم لطريق الهدى والخير والنور والإيمان.

-الاقتداء برسول الله ﷺ في الوفاء والإخلاص؛ الوفاء والإخلاص لله في الدعوة والتبليغ، والوفاء حتى مع الأعداء الذين أبرم معهم رسول الله ﷺ المواثيق والعهود، ثم تنمية هذه الأخلاق في نفوس الطلاب، وتنمية قدراتهم الفكرية في كيفية مناقشة وفاء المسلمين للمعاهدات التي أبرموها في عهد النبوة.

(1) التربية وطرق التدريس، عبد الرحمن النحلاوي وعبد الكريم عثمان ومحمد خير عرقسوسي، السعودية، ط/1389هـ، 211/1.

-الاقتداء برسول الله ﷺ في سيره على منهاج السنن الإلهية؛ إذ إن من أهم مقاصد دراسة السيرة النبوية استنباط السنن الإلهية من أحداثها ووقائعها...

ثم تنمية فهم الطلاب حتى يدركوا أن رسول الله ﷺ كانت كل تصرفاته (التربية والتغيير، الدعوة والجهاد، بناء الأمة، التشريع...) كانت موافقة للسنن الإلهية.. وأن مخالفة السنن الإلهية وتنكبها عاقبته وخيمة ونتائجه سيئة، وأن الأمة اليوم ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا بسبب تنكبها السنن الإلهية في النصر والتمكين والاستخلاف.

ثم تنمية قدراتهم الفكرية على استنباط السنن الإلهية من أمور رسول الله ﷺ اليومية.

- وعلى رأس كل تلك الأهداف السابقة: غرس الأثر الروحي والفكري والأخلاقي لشخصية رسول الله ﷺ في نفوس الطلاب، وتنمية حبه الخالد في قلوبهم؛ إذ محبته مفتاح السعادة الأبدية، وباب النجاح في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة.

المبحث الثاني:

منهاج تدريس السيرة النبوية العطرة

إن تدريس السيرة النبوية العطرة في حاجة ماسة إلى دراسات معتبرة وجادة تعني بمناهج وطرائق تحسين تدريسها وضمان جودتها، ومن ثم يحقق هذا الموضوع الحيوي ثمرته بإذن الله تعالى.

وسأتناول منهاج تدريس السيرة النبوية في مجموعة من النقاط:

1-المدرس الناجح والأسلوب التعليمي الفعال:

تعد أساليب التدريس عنصراً أساسا في العملية التعليمية-التعلمية، فمن خلالها يستطيع المدرس أن يتمكن من إعداد جيل يحقق طموح أمته المسلمة وآمالها، حيث إن المدرس الناجح هو في الحقيقة من يسلك المنهاج الصحيح والأسلوب الناجح في تحقيق أهداف الدرس بأيسر السبل، وأقل الوقت، فالمدرس إذا كان يملك المادة العلمية والقدرة، ولكنه لا يمتلك الأساليب التعليمية الفعالة فإن النجاح لن يكون حليفة في عمله.

بل يجب أن نعتمد في محراب هذه المهنة منهاجا جديدا يشمل قيم الطلاب واتجاهاتهم وقدراتهم ومهاراتهم ومفاهيمهم... ويكتشف معاني النصوص ودلالاتها، ومعانيها ومغزاها. بعيدا عن التبعية في تخزين المعلومات ليوم الاختبار التحريري ثم يذهب كل شيء بعد ذلك أدراج الرياح.

ولهذا لا يكتفي المدرس بالمحاضرة والعرض الواضح للمعلومات، لكونه من قبيل النتائج الجاهزة التي قد لا تسهم في تعميق الاستيعاب عند الطلاب.

ولا يجوز للمدرس أن يكتفي كما يفعل بعض المدرسين بالقراءة من كتاب على الطلاب فإذا ما انتهى الوقت أو انتهى الجزء سألهم: هل من سؤال؟ فيهزون رؤوسهم بالنفي فينهي درسه ظاناً منه أنهم قد فهموه واستوعبوه.. فهذه الطريقة لا تؤدي نتائجها، ولا تحقق أهدافها، ولا يستفيد منها الطلاب في بنائهم الفكري والذاتي، ولا تتيح القيام بالتفاعل التعليمي بين الطالب والمدرس. بل تورثهم الملل والكسل.

ولذلك فإن المنهاج الصحيح في التدريس ليس في شحن ذهن الطلاب بالمعلومات والتركيز على تحفيظها، لكن المنهاج القويم هو غرس القيم الفاضلة والأخلاق الإسلامية كما تعرضهما السيرة النبوية في نفوس هؤلاء الطلاب.

ذلك بأن السيرة العطرة تمثل دافعا قويا لتربية الطلاب على مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه، وهذا يتطلب أساسا العناية الكبيرة بالمناهج التربوية للسيرة النبوية بالإضافة إلى طرائق تدريسها وأساليب تعليمها.

ولهذا أكد الكثير من المفكرين المسلمين العناية بتدريس السيرة النبوية. يقول الشيخ أبو الحسن الندوي-رحمه الله-: "ولا أعني من كتب السيرة هذه الفهارس العقيمة التي وضعت للطلبة، وطلب منهم حفظها، ولا تشتمل إلا على النسب والأعداد وأسماء الغزوات والحوادث المهمة، وإنما أعني كتب السيرة التي تملأ القلب مهابة وجلالا ومحبة وإيمانا، فينبغي أن لا يخلو معظم الفصول من درس مؤثر في السيرة"[(1)].

وليس هذا فحسب؛ بل يجب أن نسعى إلى ترقية أنفسنا ومهنتنا ونجدد ونبتكر داخل الفصول الدراسية الجامعية، وأن نصمم برامج مستمدة من المثل الإسلامية لتحقيق أهداف هذا المجتمع.

لذلك على المدرس أن يتقن منهاج تدريسه، ويحكم خطة درسه وأنشطته، ويكون دائم التجديد في أساليبه ووسائله، ودائم الاطلاع على كل جديد في المناهج التربوية التعليمية.

وقبل كل هذا وبعده أن يكون المدرس على استعداد ورغبة خالصة لتنمية أدائه التربوي وذلك بمتابعة البحوث والدراسات التي يعدها المتخصصون في المجال التربوي وأن يحرص على حضور دورات تدريبية تهدف إلى تجويد تعليم العلوم الإسلامية.

(1) نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1388هـ، ص8.

وهنا أحببت أن أضع خطة عامة للإعداد الجيد للدرس وأنشطته–لأن نجاح الدرس متوقف على طبيعة الطريقة ونوعيتها–، وهي كالآتي:

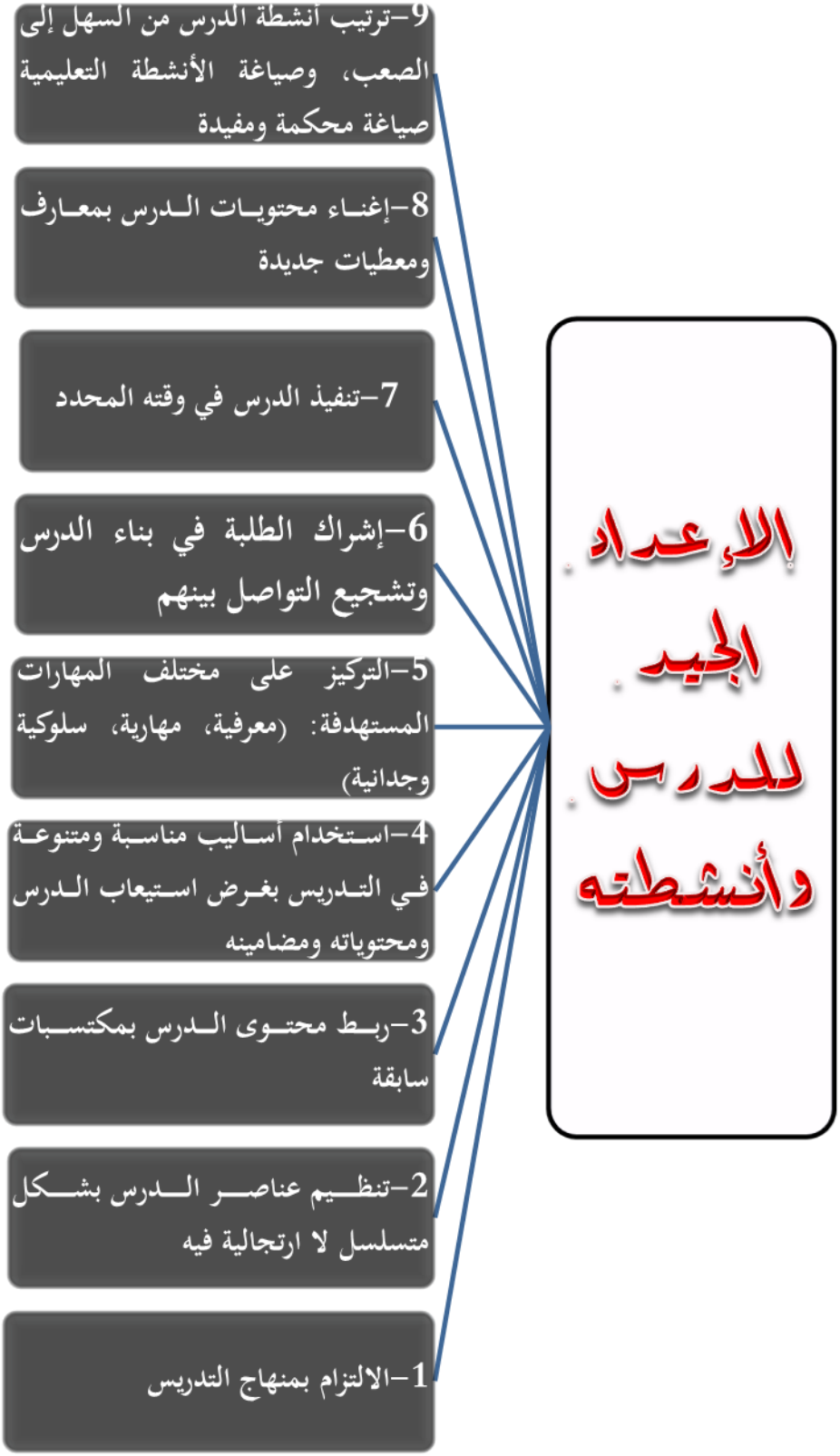

2-إشراك الطالب في الدرس وأنشطته:

والحاصل أن التدريس الفعال هو الذي لا يكون فيه الطالب متلقيا للمعلومة فحسب؛ بل يعطى الفعالية تتجلى في إعطائه الفرصة في المشاركة في بناء الدرس وأنشطته. فهو بالتالي يعتمد على النشاط الذاتي والمشاركة الإيجابية للمتعلم، والتي من خلالها قد يقوم بالبحث مستخدمًا مجموعة من الأنشطة والعمليات العلمية.

فلقد كانت منهجية التدريس في الماضي تركز على توصيل المعلومات إلى ذهن الطالب بطريقة تسهل استيعابها، أما حديثا فإنها تعنى إلى جانب ذلك بالعمل على تهيئة الفرص أمام الطلبة لاكتساب الخبرات، وذلك عن طريق النشاط والممارسة، وبهذا يتسع الدور الذي تقوم به طرائق التدريس، وتصبح جزءا لا يتجزأ من المنهج بمعناه الواسع المتطور بدلا من كونها وسيلة لنقل المعلومات إلى التلاميذ فحسب[1].

ولذلك فلن نحقق الأهداف السابقة الذكر بالتلقين والسرد وتوصيل المعلومات وشرحها للمتعلمين، فذلك يحرمهم من المشاركة النشطة في الدرس، كما يقلل من فرص تفاعلهم مع الأفكار والمعلومات التي تلقى عليهم، ويحصر العملية التعليمية في زاوية تربوية ضيقة جدا.

لذلك لابد من تشجيع طريقة النقاش الهادف في قاعة الدرس وترقية النشاط خارج الدرس في مجال السيرة وتتمثل في أعمال المتعلم الخارجية... إذ لكل هذا دور حيوي في تنمية الملكة والفكر لدى الطلاب..

ويمكن إشراك المتعلم في بناء الدرس وفق الخطاطة الآتية:

(1) تطوير المناهج، حلمي أحمد الوكيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7/ ١٩٨٢م، ص ٣٨.

3- تشجيع التفكير وتنمية القدرات:

إن المنهاج المختار هو المنهاج الذي يشجع التفكير وينميه، وقد حض القرآن الكريم على أسلوب التفكير للوصول إلى الإيمان، قال الله عز اسمه وتقدست كلماته: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾ [سورة الغاشية].

وقال جل جلاله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) ﴾ [سورة الرعد].

فالقرآن الكريم يوضح منهاجا لاحبا وأسلوبا رائعا في التعليم، ذلك بأنه يجعل المخلوق دائم التفكر والتدبر في السنن الكونية والاجتماعية.. والغاية من كل ذلك ترسيخ الإيمان الصحيح في قلوب العباد.

وإنه من الضروري اتباع هذا المنهاج في تدريس السيرة النبوية؛ وذلك بأن نجعل تدريسها قائما على استنباط المفاهيم والقيم من كل أحداث السيرة النبوية في مكة والمدينة، أضف إلى هذا أن هذا المنهاج ليس منفصلا عن البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه الطلاب، بل هو مرتبط به ارتباطا وثيقا. ولذلك فلا ينبغي أن تقتصر مناهج تدريس السيرة النبوية على النشاط في رحاب قاعات الجامعة فقط، بل لابد أن تنطلق إلى رحاب الكون وواقع الأمة وما يجري في المجتمعات المسلمة وغيرها. إذ الطالب الذي يستمد من السيرة النبوية العطرة قيما ومبادئ وأخلاقا ينبغي أن تكون له المقدرة على الاستفادة منها في حياته سواء في الجامعة أو خارجها.

4-إلزام الطلاب بأعمال خارج حصة الدرس:

تكليف الطلبة بعروض في جزئية من جزئيات السيرة، حتى تتسع مداركهم ويتعودوا على البحث والاجتهاد في السيرة العطرة.

تكليفهم بتلخيص كتاب من كتب السيرة النبوية: مثل الرحيق المختوم للعلامة للمباركفوري، أو فقه السيرة للداعية الإسلامي محمد الغزالي، أو السيرة النبوية للعلامة أبي الحسن الندوي أو دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل أو غيرها...

والتلخيص فن من فنون الكتابة والتأليف، وله أهمية لا يستهان بها في استيعاب الأفكار واختزان كم كبير من المعلومات في عبارات قليلة.. تجعل الطالب على معرفة تامة بكثير من المسائل المتعلقة بعلم السيرة النبوية.

تكليفهم بجمع ما تفرق في كتاب من كتب السيرة النبوية، مثل جمع "رحمة النبي ﷺ في المعارك من خلال سيرة ابن هشام"، أو السلام العالمي في السيرة النبوية من خلال مغازي الواقدي....

ثم المرحلة الأخيرة هي مرحلة التطبيق: تعطى للمتعلم حادثة من حوادث السيرة مثلا (غزوة الأحزاب) التي شملت مجموعة من السنن الإلهية، ثم يطبق هذه الواقعة على واقعنا المعاصر ويستخرج نفس السنن الإلهية التي تثبت ثباتها واطرادها، أو تثبت مقولة: ((التاريخ يعيد نفسه)).

فالمسلمون في غزوة الأحزاب تمثلهم الأمة الإسلامية والأحزاب تمثلهم أمريكا والصهيونية والغرب وغيرهم من الحاقدين على الإسلام.

العمل ضمن ورش عمل تطبيقية على شكل مجموعات: التدريب على تطبيق بعض أحداث السيرة النبوية على الواقع المعاصر (سنة الابتلاء أنموذجا)، وهنا نحتاج إلى الخطوات الآتية لنحقق نجاح الورشة:

المعرفة + الفهم + تطبيق المعرفة والفهم = إتقان المهارة

معرفة سنة الابتلاء في السيرة النبوية، وفهمها فهما دقيقا، وتطبيقها على الواقع المعاصر، ابتلاء الأمة بتكالب الأعداء عليها، وتقاعس أبنائها عن نصرتها...

وهذه التكليفات تقسم على الفصول الجامعية، في كل فصل من الفصول يكلف الطالب بإنجاز عمل واحد من الأعمال السابقة (عرض، أو تلخيص، أو جمع، أو استنباط، أو تطبيق) يبدأ من السهل ثم الذي يليه وفق التدرج ومراعاة قدرات الطالب الفكرية.

5-التغذية والمراجعة:

ثم بعدها الأعمال التكليفية تأتي التغذية والمراجعة، أي تقويم المدرس لطلابه وإعطائهم تغذية راجعة عن أدائهم يسمح لهم بمراقبة تطورهم ومعرفة ما طرأ على مستواهم من تغير سلبي أو إيجابي في الأعمال البحثية التي كلفوا بها.

إذن منهاج تدريس السيرة النبوية يعتمد أسلوب المحاضرة والحوار والمناقشة وإشراك الطالب في الدرس والتحليل والاستنباط والاستقراء بغرض تنمية التفكير لديه، مع تخصيص حصص للدروس التوجيهية والتطبيقية...إضافة إلى الاستفادة من الأساليب التكنولوجية الحديثة في التعليم.

هذا، وجودة منهاج التدريس يتحدد بمدى توافقه مع الأهداف المخطط لها مسبقا. مع مراعاة استعداد الطلبة ومستوياتهم وتمكينهم من السعي لفهم المادة والإبداع فيها وتفجير طاقتهم الفكرية ليصبحوا مستكشفين لمواجهة المشكلات والوصول إلى الاستنتاجات من خلال التفكير العلمي السليم.

كما يجب على الأستاذ مراعاة الحالة النفسية للطالب، وتجنب القسوة والشدة في التعامل، والتيسير والتخفيف، وتشجيع الطالب بكل الوسائل.

6- القراءة المصدرية:

لابد أن تكون القراءة المصدرية جزءا أساسيا في طريقة تدريس السيرة النبوية وتعليمها، وذلك لتنمية مهارة الطلاب على استخدام المراجع، باختيار الكتب التي تختص بدراسة موضوع معين، وقدرة الطالب على تلخيص الكتب تلخيصا معبرا، وحصوله على الإجابة الصحيحة للأسئلة التي تثار داخل قاعة الدرس.

أضف إليه تنمية مقدرته على التمييز بين المراجع التي تتناول السيرة بنظرة إسلامية حقيقة وبين تلك المراجع التي تشوه مضمون السيرة، ومن هذه المراجع الأخيرة ما كتبه المستشرقون الحاقدون على الإسلام.

فضلا عن ترقية أسلوبه في التعبير عن أحداث السيرة (كتابة ومشافهة) وذلك من خلال الاطلاع على مراجع السيرة التي تتميز برصانة الأسلوب وسلامته.

وتنمية ميله نحو البحث الجاد في حقل السيرة وذلك من خلال المقالات التي يستعينون في كتابتها بالمراجع.

وهنا أمر من الأهمية بمكان الإشارة إليه، وهو عدم اعتماد الطلاب في دراستهم عل جهد المدرس فقط وما يحصلون عليه من المقرر، بل من الضروري أن نشجعهم على تعزيز معارفهم وترسيخها وذلك بواسطة ما يحصلون عليه من المراجع التي تتلاءم مع الأهداف الحقيقية للسيرة.

- **أنموذج تطبيقي موجز للدرس في السيرة:**

لا يكتمل الحديث عن منهاج تدريس السيرة النبوية دون توضيح ذلك بأنموذج يبرز التطبيقات العملية لأهداف السيرة النبوية.

وفيما يأتي أنموذج لتخطيط الدرس:

موضوع المحاضرة: الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة.

الأهداف:

- فهم الطالب لحيثيات الهجرة النبوية وأسبابها، وللقيم السامية التي تمثلت فيها (المحبة، والبذل والتضحية بالنفس والنفيس، الإيثار والنجدة، صدق الإخاء).
- قدرة الطالب على مناقشة أسباب الهجرة وحيثياتها، والوصول إلى النتائج والقيم المستفادة منها.
- ربط معاني الهجرة بواقع الأمة لاستشراف مستقبل أفضل على غرار المجتمع الأخوي بالمدينة.

طريقة التدريس:

يقوم المدرس بإلقاء محاضرته التي انتقاها من مراجع متنوعة ومصادر لها أهمية، وأعدها إعدادا جيدا، يقوم بإلقائها بأسلوب سلس مشوق، مع التركيز على جوانب المحبة وعلى السنن الإلهية في الموضوع. واستخدام خريطة الهجرة من مكة إلى المدينة.

ثم استخدام أسلوب الحوار والمناقشة بين الطلاب ويقوم الحوار على الأسئلة والأجوبة، وعلى المعارف المسبقة لدى الطالب من أجل تنميتها أو تصحيحها وتقويمها.

القيم المستفادة:

- التوكل على الله تعالى في الأمور كلها.
- الأخذ بسنن الإعداد والحيطة والحذر.

- الثقة في نصره الله تعالى.
- محبة رسول الله ﷺ يُتنازل لها عن كل شيء من أمور الدنيا، ولا يُتنازل عنها لشيء.
- البذل والتضحية بالمال والنفس في سبيل الله.
- الإيثار، وصدق الأخوة.
- الشجاعة والثبات على الحق.

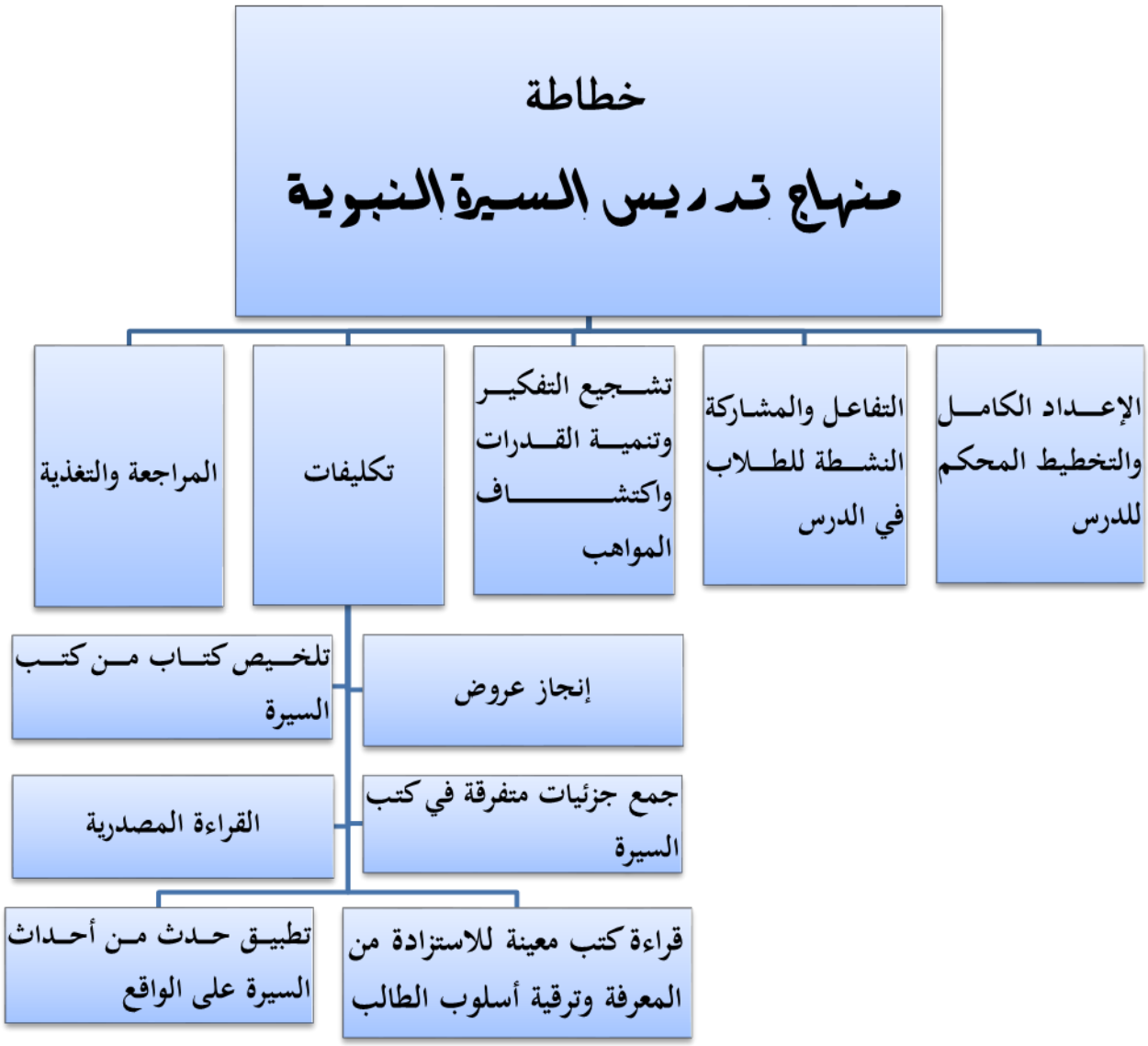

خاتمة:

إن السيرة النبوية معين لا ينضب ونبع متدفق لا يتوقف ودعامة رئيسة في البناء الروحي والذاتي والفكري للمتعلمين إذا أحسنا تدريسها بطريقة منهاجية مؤثرة ونافعة وناجحة..

وعليه، فإنَّ تدريس السِّيرة بهذه المعاني العميقة والأهداف المفيدة والمعالم المنهاجية اللاحبة ستُضفي على تدريسها حركة وحيوية وأمنا وطمأنينة وإقبالا ورغبة مستمرة في دراستها وتتبع جوانبها والتأمل في دلائلها وفرائدها، ومن ثم نحقق واجبا مهما من واجبات هذا النبي العظيم ﷺ علينا في الاهتمام بسيرته ونشر دعوته عبر توعية أجيال الأمة بأيامه الخالدة، والأخذ بدروسها وعبرها في مختلف مناحي الحياة.

فهل من همم ترنو أبصارها إلى إيفاء رسول الله محمد ﷺ حقه في تدريس سيرته الشريفة، وتقديمها من خلال منهاج واضح وأهداف واضحة تحقق مقاصد الشَّريعة ومطالبها، وتهدي الأمة إلى الصِّراط المستقيم، وترضي الله رب العالمين؛ لأنَّ السِّيرةَ النبوية مصدرٌ من مصادر التَّشريع ومنهاج حياة؟

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم كتاب رب العالمين.
- التربية وطرق التدريس، عبد الرحمن النحلاوي وعبد الكريم عثمان ومحمد خير عرقسوسي، السعودية، ط/1389هـ.
- تطوير المناهج، حلمي أحمد الوكيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7/ ١٩٨٢م.
- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط16، دار الشروق.
- نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، أبو الحسن علي الندوي، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 1388هـ.